أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

الربع الثامن

المقطع الثالث من المحور الأول: دعوة إبراهيم وتبرئتها من انتساب اليهود والنصارى إليها.(124-141)

علاقة هذا الربع بما قبله:

هذا الربع فيه رد على ادعاءات اليهود والنصارى السابقة وبيان قطع نسبهم الروحي بإبراهيم

وفيه إرشاد إلى الطريق المستقيم وهو اتباع مله إبراهيم، والإيمان بجميع الرسل والكتب

- فقد ادعى اليهود والمشركون أنهم ينتسبون لإبراهيم، فبينت الآيات إمامة إبراهيم وأنه كان حنيفًا مسلما، ثم ذكرت من أولى الناس به.
- فقد ادعى اليهود أنهم أصحاب الجنة {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى}، فأخبر الله أن مجرد الإنتساب لإبراهيم لن يفيد شيء طالما لم يعملوا العمل الصالح فعندما دعا إبراهيم بالإمامه لذريته قال الله له {قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }.
- أن اليهود منعوا المسلمين من الصلاة في المسجد الحرام، فبين هنا أن البيت أمن للموحدين لامكان للشرك فيه.
- أنهم ادعوا لله الولد، فبين قطع نسبهم الروحي بإبراهيم لأنه دعا الله أن يهبه ذريه مسلمة.
- أنهم لم يؤمنوا بالنبي محمد وإبراهيم دعا الله أن يبعث فيهم رسولا منهم {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }، وكذلك قالوا {نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ} فبين الله في هذا الربع فبين الله أن جميع الأنبياء لايفرقون بين الرسل وقد أتوا جميعًا بالتوحيد {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) }

الترابط الموضوعي للآيات، مع ذكر التدبر

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

يُذكر الله النبي محمد بتاريخ إبراهيم فقال: واذكر اذ عامل ربك إبراهيم معاملة المختبر اذ ابتلاه بكلمات شرعية هي مجموع التكاليف والأوامر والنواهي فأداهن وأتمهن، فاستحق بذلك أن يكون إمامًا يقتدى به، فدعا ربه أن يجعل بعض الذرية أئمة فأجاب الله دعاءه بأن هذا مقيد بالصالحين، فلن ينال وعد الله بسياسة الدنيا وحراسة الدين من ظلم نفسه بالشرك.

هداية وتدبر

{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ }	الإمامة لاتكون إلا بعد الإبتلاء، ولن يمكن المرء حتى يبتلى. ولما سئل الشافعي -رحمه الله: هل يُمكَّن للإنسان ام يبتلى؟ فقال: لا يُمكَّن حتى يبتلى. فعادة الله أن يبتلي العباد، ليتبين الكاذب الذي لا يثبت عند الابتلاء والامتحان من الصادق، الذي ترتفع درجته، ويزيد قدره، ويزكو عمله، ويخلص ذهبه. فمن الناس من ينكسر حال الابتلاء ويتراجع، يجزع، يتسخط، يتخلى عن مبادئه، يعترض على قدر الله فالإيمان الراسخ الثابت هو الذي يكون صاحبه من أهل الإمامة، لا تكون الإمامة لمن كان إيمانه ضعيفًا هشًا، قابلاً للتشكيك، لذا كانت خاتمة السلف: أنهم على نهج واحد لم يتغيروا ولم يتذبذبوا.
{ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا }	الله شكور يجزيهم على عملهم القليل بالجزاء الكثير ، فكلمات تدل على القله، فلما نفذ إبراهيم أوامر الله، واختبره الله ونجح في الإختبار كما في القاءه في النار وذبح ابنه، جوزي على ذلك أن صار إماما يقتدى به، ولذلك لا يوجد رجل أجمع عليه أهل الملل، وكل طائفة تضيفه إلى نفسها مثل إبراهيم.

	قال الشيخ السعدي في قوله {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}: وهذه - لعمر الله - أفضل درجة، تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام، شمر إليه العاملون، وأكمل حالة حصلها أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله.
{قال ومن ذريتي}	قال الشيخ السعدي في قوله {وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته، لتعلو درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضا من إمامته، ونصحه لعباد الله، ومحبته أن يكثر فيهم المرشدون، فلله عظمة هذه الهمم العالية، والمقامات السامية. ينبغي للإنسان أن يدعو لذريته بالإمامة، والصلاح، وهذه جبلة، وقال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ [سورة إبراهيم:35] فالإنسان يدعو لأولاده بالصلاح، ويحرص على تربيتهم التربية الصحيحة؛ لأن هؤلاء امتداد له، والنبي قال: أو ولد صالح يدعو له هؤلاء هم مدخراتك مع العمل الصالح والإنسان يكون وسط في تربية أولاده، لا يدللهم تدليل يضيعهم ويفسدهم، ولايقسو عليهم قسوة مفرطة. فهذا التدليل والتربية الفاسدة أن يقال: لا تضغط على الولد، دعه يفعل ما يشاء، البنت تلبس ما تشاء، لا تضغط، هذا غلط، إنما وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا [سورة طه:132] قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا [سورة التحريم:6] كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته بالحسنى بالكلام الطيب بالإقناع، وإذا ما نفع فبالإلزام، لا أتركه يترك الصلاة وهو فراشه، وأذهب إلى المسجد، بل يقوم ويخرج إلى المسجد ولا يبقى في البيت أيضا القسوة مفرطة كأن يقول للولد: إذا تأخرت عن الساعة الحادية عشرة الباب مقفل ولن تدخل، ولربما طرده من البيت، فيتلقفه الشياطين ويخسر هذا الولد، ويزيد انحرافًا وسوء وشرًّا
{ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}	سُنن الله لا تحابي أحدًا مهما علا قدره، ولو كان في مكان التكريم، يعني هذه لحظة تكريم لإبراهيم فانتهز الفرصة قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي فلم تكن سنن الله تحابي أحدًا، ولو حابت

	أحدًا لكان ذلك لإبراهيم فقال الله: لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [سورة البقرة:124] فإن أهل البدع والضلال والإشراك الفجور لا يصلحون للإمامة في الدين ونستفيد منها أن العاصي الذي يجاهر بالمعصية، ويشيع عنه أنه فاجر لايصح أن يُصدر ويعلم الناس، لأنه فتنة للناس، و لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله أحبار اليهود وقال الشيخ السعدي في قوله {لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}: لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟.

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

ثم ذكر أعظم أثر ونموذج لإمامة إبراهيم في الناس وهو بناء البيت الحرام، الذي جعله الله مثوبة للناس، إما بالقلب في الصلاة أو بالبدن عند آداء الحج والعمرة، وكذلك آمنا يأمن الناس فيه على أموالهم ودمائهم حتى شجره آمنا من القطع، وحتى الوحوش تأمن فيه.
ومن اتصال اللاحقين بالسابقين أمر الله باتخاذه مصلى، وقد أوصى الله إبراهيم بوصية أن يقوم هو وإسماعيل بتطهير المسجد الحرام من نجس حسي ومعنوي، ليهيأ للعبادة والصلاة.

هداية وتدبر

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنً	ظهور رحمة الله؛ فإنه لما جعل هذا البيت مثابة، والناس لابد أن يرجعوا إليه رحمهم بأن جعله أمناً ومنها تعرف عظم جرم أولئك الذين يوقعون المخاوف بين المسلمين في مواسم الحج، وأنهم ـــ والعياذ بالله ـــ من أعظم الناس جرماً؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل هذا البلد آمناً في كل وقت؛ فكيف في وقت أداء مناسك الحج ؟!.
أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ	لايجوز تلويث الحرم والقاء القاذورات فيه، لأن فيه قلة تعظيم لشعائر الله.
	وإضافة الله البيت اليه"بيتي" فيه شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في ذلك. هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ	أعظم الأحوال التي تدل على الخضوع هي الركوع والسجود، حينما ينحني الإنسان لله يضع جبهته التي هي

	اشرف شيء في جسده على الأرض خضوعًا لله وتذللاً ليكون أخفض شيء على الأرض، الموضع الذي تطأه الأقدام، فهذا غاية التذلل، لكن نحن حينما ألفنا هذا لم نعد نستشعر!.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)

ثم تتابعت منن الله على هذا المكان ببركة دعاء إبراهيم، ورأفته بمن بعده، فقد دعا أن يكون البلد آمنًا مسكونًا مليء بالرزق، وقيده إبرهيم في الدعاء بالإيمان قياسا على الإمامة تأدبًا مع الله، فاستجاب الله دعاءه على التعميم وجعل الرزق عام للمؤمن والكافر، كما قال تعالى: {وما من دابة في الأرض إلاعلى الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها}، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر فيتمتع فيها قليلا {ثُمَّ أَضْطَرُّهُ} أي: ألجئه وأخرجه مكرهًا {إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. أما الإمامة في الدين لا تكون إلا لأهل الإيمان والعمل الصالح واليقين، بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين

هداية وتدبر

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾	**الأولى:** لا غنى للإنسان عن دعاء الله مهما كانت مرتبته؛ فلا أحد يستغني عن الدعاء أبداً. **الثانية:** رأفة إبراهيم صلى الله عليه وسلم بمن يؤم هذا البيت؛ لأن جعل البيت آمناً يتضمن الإرفاق بمن أمّه من الناس. **الثالثة:** أعظم النعم بعد الإسلام نعمة "الأمن" لذلك سأل نبي الله إبراهيم ربه نعمة "الأمن

	"قبل"الرزق"،"التخلية قبل التحلية" وهل يهنأ عيش والخوف محيط به! الخوف كابوس الاستمتاع بملذات الحياة. انظروا ليوم القيامة الخوف فيه شديد لا أحد يشتغل بأحد لا الوالد بالولد، ولا الولد بالوالد، فكل واحد يفر من الآخر، والأبصار شاخصة. وكذلك يوم الأحزاب قال الله فيه مصورًا الحال التي بلغت بأهل الإيمان حينما حوصروا: {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} [سورة الأحزاب:10] بعض العلماء يقولون: معنى هذا أن الرئة تنتفخ في حال الخوف فيرتفع القلب إلى أعلى، فيشعر الإنسان كأن قلبه سيخرج من مكانه.
قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	عطاء الله للعبد من الدنيا لا يدل على رضاه ومحبته لهذا الإنسان، بل إن كان على غير إيمان وعمل صالح فهذا من الإملاء {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}. كما قال السلف يُعطي الرجل وهو على معصيته مُقيم على معصيته فهذا من قبيل الاستدراج {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ }[سورة المؤمنون:55، 56]. **وقد يسأل سائل: لماذا الكفار في هذا النعيم، وهذا التمكين، وهذا الترفيه وهذه الوسائل التي ذللت لهم المصاعب في الحياة والمسلمون في وضع بائس؟** فيقال لهم كما قال النبي لعمر وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، قال: فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة. فالدنيا سجن المؤمن وجنه الكافر: سجن المؤمن لأنه يسير في إطار محدود لايتجاوزه فلايرتكب ما نهى الله عنه، والدنيا سجن بالنسبة للجنة، أما الكافر فهي جنته مقارنه بما يلقاه من العذاب الأليم في الآخرة،

	مع أنه في الدنيا قد يكابد ويتعب، وأيضا الدنيا طبعت على كدر وتعب ومشقة فلاتصفو لأحد، فضلا عن أن المعرض عن طاعة الله جعل الله حياته ضنك {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} فيجد في قلبه الوحشة والضيق ومع ذلك فهي جنة بالنسبة لمآله في الآخرة، لذلك هم أحوج ما يكونون إلى النظر اليهم بعين الرحمة، وأن يبلغهم المسلمون إكسير السعادة وهو هذا الدين، بدلا من الإعجاب بهم وبتطوراتهم.
	أنه يجب علينا أن نتخذ من هذا الوقت القصير عملاً كثيراً ينفعنا في الآخرة؛ لقوله تعالى: {فأمتعه قليلاً}

<u>وبعد أن بينت الآيات النعم الحسية على العرب ذكرتهم بالنعم المعنوية من بناء البيت:</u>

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

جاء التذكير بصيغة المضارع (يرفع) الدال على الإستمرار، ليستحضر القاريء والسامع صورة البناء ويتمثلها أمامه، فنرى إبراهيم يرفع الأساس وإسماعيل يعاونه، وكانا يتضرعان إلى الله أن يتقبل الله صالح أعمالهما، فهو السميع لكلامهما العليم بأحوالهما، وهذا مشهد عظيم يصل حاضر الأمة بماضيها.

هداية وتدبر

"وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ"	"فبهداهم_اقتده "، إشراك الابن في المشروع الخيري والدعوي ولو بشيء يسير له آثاره الحميدة.
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا	جاء بهذا الاسم الكريم "الرب" لما فيه من التلطف والاستعطاف؛ لأن من معاني الربوبية العطاء، والقبول، والإستجابة.
	اذا دعا شخص وأمن معه غيره فالدعاء منهما ولهما، كما حصل من إبراهيم وإسماعيل.
	الحرص على قبول العمل أكثر من العمل ذاته، فلا فائدة من العمل إذ لم يتقبل عند الله. ولننظر إلى حالنا وحال إبراهيم فالبعض منا عندما يمن الله عليه بفعل الصالحات يظن أنه ضمن القبول، فإذا صام يوم عرفة وهو يكفر سنة ماضية وسنه مستقبلة، يقول لماذا أصوم يوم عاشوراء وهو يكفر سنة ماضية فقط، يوم عرفة يغني عنه؟!، وقد ضمن أن الله قبل منه. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ [سورة المؤمنون:60] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال النبي: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم. *قال ابن مسعود: "وددت أني نسبت إلى روثة، وأن الله تقبل حسنة واحدة من عملي". قال فضالة بن عبيد: لأن أكون أعلم أن الله تقبل حسنة واحدة من عملي خير من الدنيا وما فيها، لأن الله يقول: "إنما يتقبل الله من المتقين". ولهذا جاء في الحديث: «رب صائم حظه من صيامه الجوع، والظمأ؛ ورب قائم حظه من قيامه السهر
	كلما كان العبد أعرف بربه كان ذلك أدعى إلى انكساره وخضوعه لله وتواضعه للناس، وإذا تعاظم

	جهله ظهرت عليه أمارات العُجب والكِبر والتعالي.
	{تَقَبَّلْ مِنَّا} يُشعر بالاعتراف بالتقصير، فالعبد ضعيف مهما اجتهد، فإذا نظر إلى فضل الله عليه ونِعمه؛ فإنه يتوسل إلى الله بالقبول. ولذلك نحن بعد الحج نستغفر، وبعد الصلاة نستغفر، وبعد قيام الليل نستغفر {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ}[سورة آل عمران:17] فإذا إذا كان الاستغفار بعد هذه الأعمال والعبادات العظيمة، فبعد المعاصي والذنوب من باب أولى.
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	لقوة يقينهما بسمعه -تبارك وتعالى- أنه يسمع، وأنه يعلم الحال، ومن يتيقن أن ربه يسمع ويرى؛ فإنه يعمل بانشراح ونشاط، كما يدل على كمال الصدق والإخلاص، يعني: لو كان الإنسان يقوم في قلبه شيء آخر من الرياء والسمعة سيقول يا رب أنت سميع عليم تعلم الحال، وما في البال!!

{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}

ثم أكد ارتباط البيت بالإسلام، فدعو الله أن يثبتهم على الإسلام، وأن يجعلهم منقادين لأحكام الإسلام، وأن يجعل الخير باقٍ في الذرية فهم أولى الناس بالدعوة {ياأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم واهليكم نارًا} التحريم 6، وأن يعلمهم الله المناسك والشرائع كأنهم يرونها، فإننا مع كل هذا لا غنى لنا عن رحمتك فنتضرع اليك ياالله بالتوبة من التقصير، وهذا فيه تعليم الناس أن هذا مكان التوبة والدعاء بالمغفرة، ثم عللا رجاءهما في قبول التوبة بأن الله هو عظيم التوبة، واسع الرحمة بعباده.

هداية وتدبر

وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ	الإنسان مفتقر إلى تثبيت الله؛ وإلا هلك؛ فإنهما مسلمان بلا شك: فهما نبيَّان؛ ولكن لا يدوم هذا الإسلام إلا بتوفيق الله؛ قال الله سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات} [الإسراء: 74، 75]
وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ	ينبغي للإنسان أن يشمل ذريته في الدعاء؛ لأن الذرية الصالحة من آثار الإنسان الصالحة؛ وقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم في آية أخرى: {واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام} ؛فالذرية صلاحها لها شأن كبير بالنسبة للإنسان، فليست القضية بأن يُرزق الأولاد، وإنما ذرية طيبة. *اللبيب الأريب من تعلم من إبراهيم ودعا لنفسه ولذريته.
وَأَرِنا مَناسِكَنا	تحريم التعبد لله بما لم يشرعه؛ لأنهما دعَوَا الله عزّ وجلّ أن يريهما مناسكهما؛ فلولا أن العبادة تتوقف على ذلك لتَعبدا بدون هذا السؤال
وَتُبْ عَلَيْنا	لا يخلو الإنسان من تقصير وضعف وفتور ولا بد أن يقع شيء من الخلل في عمله، وربما الغفلة والإساءة، فيحتاج دائمًا إلى التوبة ولهذا نستغفر بعد الصلاة ثلاثًا.

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

ثم دعا بإتمام النعمة على العرب بأن يجعل فيهم رسولًا منهم أعرف بحالهم، وينالهم الشرف به، ويقوم بثلاثة مهام:		
الأولى: تلاوة آيات الله الكونية والشرعية عليهم.	**الثانية**: يعلمهم الكتاب تلاوة ومعنى، ويفقههم في أحكامه.	**الثالثة**: تطهيرهم من الشرك ورديء الأخلاق، وهي ثمرة الأوليين وشرط قبولهم لذا قال النبي: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

هداية وتدبر

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ	*الهم الذي كان يحمله إبراهيم مما يتصل بهداية الخلق والذرية، فلم يقتصر بالدعاء لنفسه، أو الدعاء لولده وزوجه، وإنما دعا لذرية هؤلاء. *التفاؤل، ونبذ اليأس والقنوط. فدعوة إبراهيم تحققت بعد الاف السنين ببعث محمد فهو الرسول الوحيد من ولد إسماعيل.
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ	ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يزكي الأخلاق، ويطهرها من كل رذيلة، كما قال صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله: أنّ هذه الآية الوحيدة التي جمعت بين حفظ القرآن (حفظ الألفاظ) والفهم يعني: التلاوة والفهم، والعمل به {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ [سورة البقرة:129] لفظًا وحفظًا وتحفيظًا.

<u>وبعد هذا العرض لسيرة الخليل إبراهيم تأتي النتيجة القرءانية:</u>

{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}

مَن مِن العقلاء يربأ بنفسه أن يتبع مله إبراهيم؟
لايفعل ذلك إلا من امتهن نفسه وأراد هلاكها، لأن الله رفع درجته في الدنيا والآخرة.
في الدنيا: جعله الله صفوة الأنبياء والمرسلين. عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي فقال له ياخير البرية فقال: "ذاك إبراهيم".
في الآخرة: من جملة أهل الصلاح والطاعة.
ذكر الله تعالى الاصطفاء في الدنيا، والصلاح في الآخرة؛ فما الفائدة؟
الجواب: أن الدنيا دار شهوات، وابتلاء؛ فلا يصبر عن هذه الشهوات، ولا على هذا الابتلاء إلا من أخلص نفسه لله فصار صفوة من عباد الله.
أما الآخرة حتى الكفار يؤمنون؛ ولكن الفرق بين من يكون من الصالحين، وغير الصالحين؛ لأنهم إذا عرضوا على النار قيل لهم: {أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا}

هداية وتدبر

- **{ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ }**

ليس هناك أعظم سفهًا من ذاك الذي ضيع سبب السعادة الدنيوية والأخروية، واختار الطريق المُظلمة والمُهلكة التي تُؤدي به إلى الشقاء في الدنيا وفي الآخرة
مهما كان عند الكفار من الاكتشافات والمخترعات، والصناعات، ومهما كان عندهم من التطور المادي والعمران، فإن هؤلاء يبقون في النهاية سفهاء، وينبغي أن يكون التعامل معهم، والنظر إليهم بهذا الاعتبار أنهم سفهاء بنص القرآن، ومن هنا فإن المؤمن لا يمكن أن يغتر بهؤلاء، وما أوتوا، فإذا ذهب إلى بلادهم، ورأى مظاهر هذه الحضارة المادية، وهذه العلوم التجريبية التي توصلوا إليها، فإنه مُباشرة يتذكر هذه المعاني: أن هؤلاء ما عرفوا أهم المُهمات، وأعظم الأمور والأمر الذي وجدوا في هذه

الحياة من أجله، وهو عبادة الله -تبارك وتعالى- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

وكان هذا الإصطفاء لإبراهيم وقت أن قال له الله أسلم، فأجاب على الفور: استسلم لله رب العالمين، ولم يكتفِ بالفضل لنفسه بل وصى بها بنيه من بعده، وكذلك وصى بها يعقوب.

هداية: أعظم هداية ومنة هي الإسلام والثبات عليه حتى الممات.
لابد للإنسان أن يكون شغله الشاغل مع أولاده صلاحهم وهدايتهم للطريق المستقيم، {كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته}، وليس الأمر على إدخار الأموال وجمعها وترك تربيتهم التربية السليمة.

الرد على اليهود والنصارى في زعمهم الباطل وادعاءاتهم الفاسدة

الرد على اليهود في زعمهم أن يعقوب كان على اليهودية	{ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) } فقال: أكنتم حاضرين وقت موت يعقوب، حين سأل أبناءه ما تعبدون بعد موتي؟ قالوا: لن نعبد إلا ربك ورب أبيك إسحاق وجدك إبراهيم وعمك إسماعيل، وَالْإِسْلَامُ هُوَ مِلَّةُ الْأَنْبِيَاءِ قَاطِبَةً وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ وَاخْتَلَفَتْ مَنَاهِجُهُمْ لقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَحْنُ مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ دِينُنَا وَاحِدٌ وشرائعنا شتى"
	{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ثم أتى الرد المفحم على اليهود: لماذا تدعون ذلك؟ هل تظنون أن مجرد النسب ينجيكم من عذاب الله؟ فقد ذهب إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأعمالهم، وأنتم لن تنفعكم إلا أعمالكم، ولن تسألوا عن عملهم.
	هداية ... وتدبر لابد من اتباع القدوة، قال نعبد إلهك وإله آباءك، فأبناء يعقوب تأثروا به، والإبن يتأثر بأبيه. قضية الإيمان والتوحيد هي الأصل الكبير الذي تُبنى عليه السعادة في الدنيا والآخرة، وكل شيء يذهب، فالأموال تذهب وتجيء، وقد يُخفق الإنسان في دراسة، أو في عمل، وقد يمرض مرضًا عُضالاً، ولكن المُهم أن يسلم له دينه وإيمانه، وكل شيء بعد هذا فهو يسير وسهل، فالحياة قصيرة، ومتاعها قليل، وذهاب ذلك لا شيء، لكن إذا ذهب الدين، وحصل الانتكاسة والانحراف، فهنا يحصل الضياع والبؤس في الدنيا والآخرة. فهذا يعقوب في حال النزع والاحتضار {إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} ففي هذه الحالة حينما يتحدث المُحتضر، ويوصي ويجمع بنيه، وقد ترك الدنيا وراء ظهره، وفارق اللذات، وبقي في حال لا يصلح معها إلا الصدق الكامل، فهنا يوصي يعقوب في هذه اللحظات الحاسمة بنيه بهذا الأصل الكبير

	{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي} لا يوصيهم بالتجارة الفلانية، والأموال فثمروها، والزروع فنموها وتعاهدوها، إنما يقول لهم: {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي} رباهم على هذا مدة الحياة، وعند الموت يريد أن يطمئن ليُفارق الدنيا وهو على حال من الاطمئنان، وأن هؤلاء الأبناء قد لزموا هذا الدين والحق، وأنهم لا يفارقونه من بعده، فلا يبدلون ولا يُغيرون **النفس الطويل في الدعوة إلى الله -تبارك وتعالى- فهؤلاء الرسل -عليهم الصلاة والسلام- والأنبياء قضوا حياتهم في الدعوة إلى الله قضوا أعمارًا مديدة بلا كلل ولا ملل ولا توقف ولا يأس،** فنوح بقي يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، والله أعلم كم بقي بعد الطوفان، مدة طويلة في الدعوة، وهذا يعقوب إلى لحظات الاحتضار، وهو في حال من مُلاحقة هذا الهم، ومُتابعة الدعوة، وتعاهد الأبناء، والغرس الذي غرسه، فالدعوة لا تتوقف، وهي من أفضل وأجل الأعمال التي يعملها الإنسان، وتبقى آثارها بعد موته، فإن الله -تبارك وتعالى- إذا هدى به أحدًا من الناس، فيكون له مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة، وأولى من يُقدم له ذلك ويُبذل هم هؤلاء الأولاد؛ ولذلك لا تحقرن من المعروف شيئًا
	الاعتماد على أعمال الآباء لا يجدي شيئاً؛ لقوله تعالى: {تلك أمة قد خلت ... } الآية؛
	كمال عدل الله حيث لا يؤاخذ أحدًا بعمل أحد فالكل مجزي بعمله؛ فلا أحد يعطى من عمل أحد، ولا يؤخذ منه؛ قال تعالى: {كل نفس بما كسبت رهينة} والآخِر لا يُسأل عن عمل الأول؛ ولكن الأول قد يُسأل عن عمل الآخر، كما قال تعالى: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار} [القصص: 41] ؛ فقد يكون الأول صاحب بدعة، ويُتَّبَع على بدعته؛ فيكون دالاً على ضلالة؛ فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ لكن الآخر لا يسأل عن عمل الأول؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»؛ وفي لفظ: «فتؤذوا الأحياء
الرد على اليهود	{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

والنصارى في دعوة الناس إلى ملتهم	قالت اليهود: كونوا هودًا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فأبطل الله زعمهم ولقن نبيه الحجة فقال: بل ملة إبراهيم حنيفا فيها الهدى، فقد كان مائلا عن الشرك. وهذه الآية نزلت في عبدالله بن صوريا فقد قال: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يامحمد تهتدِ فأنزل الله هذه الآية.
	تدبر ... وهداية أهل الباطل يجدون ويجتهدون في الدعوة إلى باطلهم، وكما جاء عن عثمان أن المرأة الزانية تود لو أن جميع النساء زوان" ولهذا قال الله لنبيه{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [سورة الكهف:28]
	{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ثم وجهت الآيات إلى وحدة العقيدة فأمرت المؤمنين أن يقولوا آمنا بالله وحده وبكل الكتب والرسل السابقين على وجه العموم لانفرق بين أحد منهم ونحن على هديهم مسلمون. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا «
	هداية ... وتدبر: هذه الآية جمعت أصول الإيمان لذا كان النبي يقرأ بها في ركعتي الفجر. الذي أوتيه النبيون من ربهم -عليهم الصلاة والسلام- هو الوحي والنبوة والكتاب، فهذا هو المهم والمطلوب، وهذا الذي يجب الإيمان به، والعناية به، ولم يقل: وما أوتي

	النبيون من ربهم من الرزق والمال والبلاد التي فتحوها، ونحو ذلك، فالتوحيد والايمان هو ميراث الأنبياء فمن أراد ميراث النبوة فعليه أن يشتغل ويُقبل على العلم، وأن يعتني به، ولُباب العلم وخُلاصته ما جاء في هذا الوحي. وكذلك ينبغي للمؤمن أن يشعر أنه هو وإخوانه كنفس واحدة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبّك بين أصابعه؛ لقوله تعالى: {**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**}
	{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} ثم تبين الآيات أن هذه عقيدتنا، وصبغتنا التي لاتزول، فالصبغة هي الدين، فمن آمن مثل إيماننا فقد حقق الخير، وهدي هداية التوفيق ومن أعرض وخالف بعد إقامة الحجة عليه، فلن يكونوا إلا منغمسين في الإيذاء، والضلال، وكأن الإنسان إذا سمع {فإنما هم في شقاق} قد يهاب، ويخاف؛ فطمأن الله تعالى المؤمنين بقوله {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ}: أَيْ فَسَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ وَيُظْفِرُكَ بهم. وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ: وختمت الآية بهذين الإسمين لأن التدبير من الكفار لأهل الإيمان أمر خفي فختمت الآيات ببيان سمع الله وعلمه المحيط بكل شيء. **هداية ... وتدبر** { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا } الذين يصححون أديان هؤلاء الكفار من أهل الكتاب أو غيرهم، ويتورعون عن إطلاق الكفر عليهم، مخالفون لنص هذه الآية، والذين ينادون بوحدة الأديان وتجد مؤسسات تجمع بين المسجد والكنيسة ومعبد اليهود، والنبي يقول: "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار" { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} يجب الاعتماد على الله، والثقة به {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [سورة الطلاق:3] يعني: كافي وبقدر اتباع الإنسان لشرع الله تحصل له الكفاية {أَلَيْسَ اللَّهُ

	بِكَافٍ عَبْدَهُ} فتوكل الدعاة، والرُسل، وأهل الإيمان، على الله -تبارك وتعالى- لا يضرهم بعد ذلك كيد الأعداء، والله أخبر عن الأموال الطائلة التي يُنفقونها للصد عن سبيل الله {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} هذا في الدنيا {وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [سورة الأنفال: 36] فهذا هو النتيجة المُحققة { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} النبي قال فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى- في الحديث المشهور: {من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه}، فحينما يصطبغ المؤمن بصبغة الله يكون الله -تبارك وتعالى- بهذه المثابة بالنسبة إليه بمعنى: أنه لا يُحرك ولا يبطش يده إلا وفق مرضاة الله ولا يمشي برجله خطوة واحدة إلا فيما يكون رضًا لربه -تبارك وتعالى- فيكون عمله في رضاه، وتكون أنفاسه في طاعته، فيكون مُستغرقًا العمر والأنفاس واللحظات في طاعة ربه، ومن هنا يتميز المؤمن بسمته وهديه ودله، ويتميز بمعاملاته وأخلاقه، ويتميز بلباسه ومظهره، قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله- بأن أهل الفراسة يعرفون ثوب التقي الصالح من ثوب غيره، ولو لم يكن عليه فمن أراد الكمال والشخصية الكاملة فليس بأن يشوه نفسه ويُغير معالم الفطرة، ويتشبه بأعداء الله ممن لا خلاق لهم من أهل العبث والضياع والتفريط، وإنما يمتثل ما أمره الله -تبارك وتعالى- به، ويقتدي بأكرم وأفضل وأعظم الخلق الذي أُمر بالاقتداء والاتساء به، وهو محمد.
الرد على اليهود في زعمهم أنهم	**{قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ}** كيف تجادلوننا في الله وهو ربنا وربكم، وليس أحد أولى من

أبناء الله وأحباءه	أحد ولايقرب عند الله إلا العمل الصالح، وأعمالنا يزكيها الإخلاص. **هداية .. وتدبر** وجوب البراءة من أعمال الكفار؛ لقوله تعالى: { وَلَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ }والإفتخار بذلك وبما نحن فيه من الحق، ولا يجوز التشبه بأعداء الله؛ لأن المشابهة موافقة في العمل؛ لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم» { وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ} عن سعيد بن جُبير -رحمه الله- أنه قال: الإخلاص أن يُخلص العبد دينه وعمله لله، فلا يُشرك به في دينه، ولا يُرائي بعمله وهناك عبارة للفضيل بن عياض -رحمه الله- مشهورة وهي: أن العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وترك العمل من أجل الناس رياء لأن الموجه للعمل صار الناس فالتفت القلب إليهم، فعده بهذا الاعتبار من قبيل الشرك، أو الرياء، وإن كان الصواب أن ترك العمل من أجل الناس خطأ وضعف في اليقين والتوكل والإيمان.
الرد على اليهود والنصارى في زعمهم أن إبراهيم كان على اليهودية أو النصرانية	**{ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** انتقل من توبيخ هؤلاء الذين يحاجون في الله إلى توبيخ آخر؛ وهو دعواهم أن هؤلاء الرسل الكرام كانوا هوداً، أو نصارى؛ وهذه دعوى كاذبة؛ فليس هؤلاء يهوداً، ولا نصارى؛ أأنتم أعلم بهذا أم الله؟!، فما كانت اليهودية ولاالنصرانية إلا بعد إبراهيم، وإسماعيل واسحاق ويعقوب وبنيه فلا أحد أظلم منكم لكتمانكم شهادة الحق على الأنبياء جميعا، وعلى النبي محمد خاصة، ثم توعدهم الله بأنه ليس بغافل عن أعمالكم وسيجازيكم عليها. **هداية ... وتدبر** كل إنسان يكتم علماً فقد كتم شهادة عنده من الله؛ ثم إن في هذا عظم إثمه؛ لقوله تعالى: {ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله}

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ	بعض أهل العلم يقولون: هذا التكرار جاء من أجل المُبالغة في زجر هؤلاء عن هذا الافتخار بالآباء، والانتساب إلى هؤلاء المرسلين والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وهم ليسوا على حالهم ولا عملهم ولا إيمانهم؛ وذلك من أجل ترسيخ مدلول هذه القضية في النفوس، واهتمامًا بما تضمنته، فإنه لم يكتف بالموضع الأول، بل أعاد ذلك ثانية ليُرسخ هذا المعنى؛ لشدة الحاجة إليه، حتى العرب في الجاهلية كانوا يفتخرون أنهم على دين إبراهيم

لما ظهر أن اليهود والنصارى لاخير فيهم، ختم السياق بالفصل بين الأمتين، وإعلان انتهاء عهد الأمة الأولى لتبدأ الأمة الثانية في الخلافة.

{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

تلخيص ما مضى من الجزء الأول

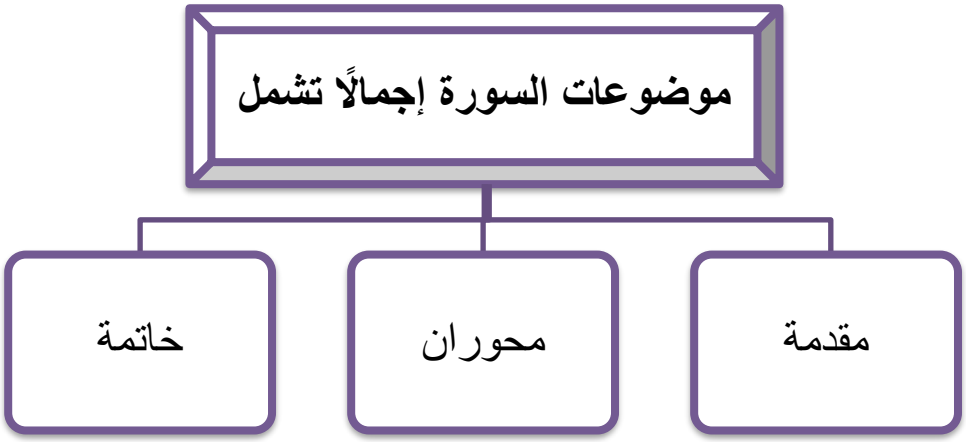

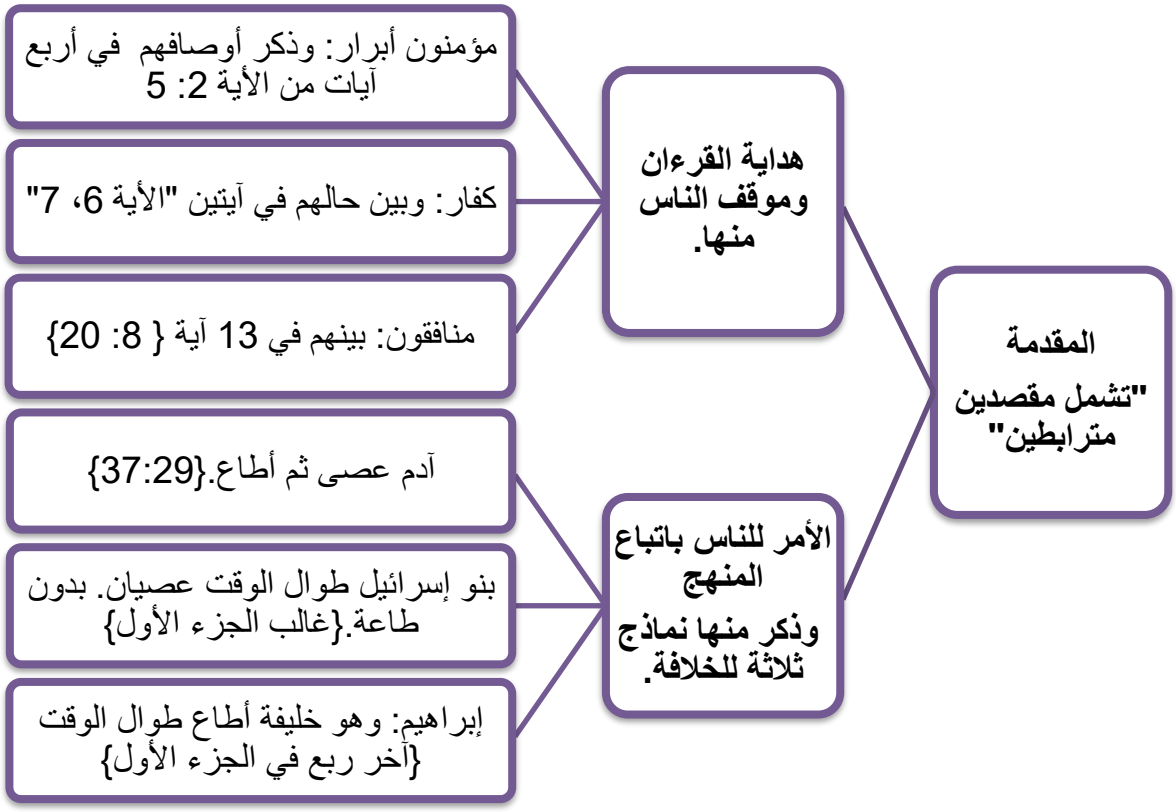

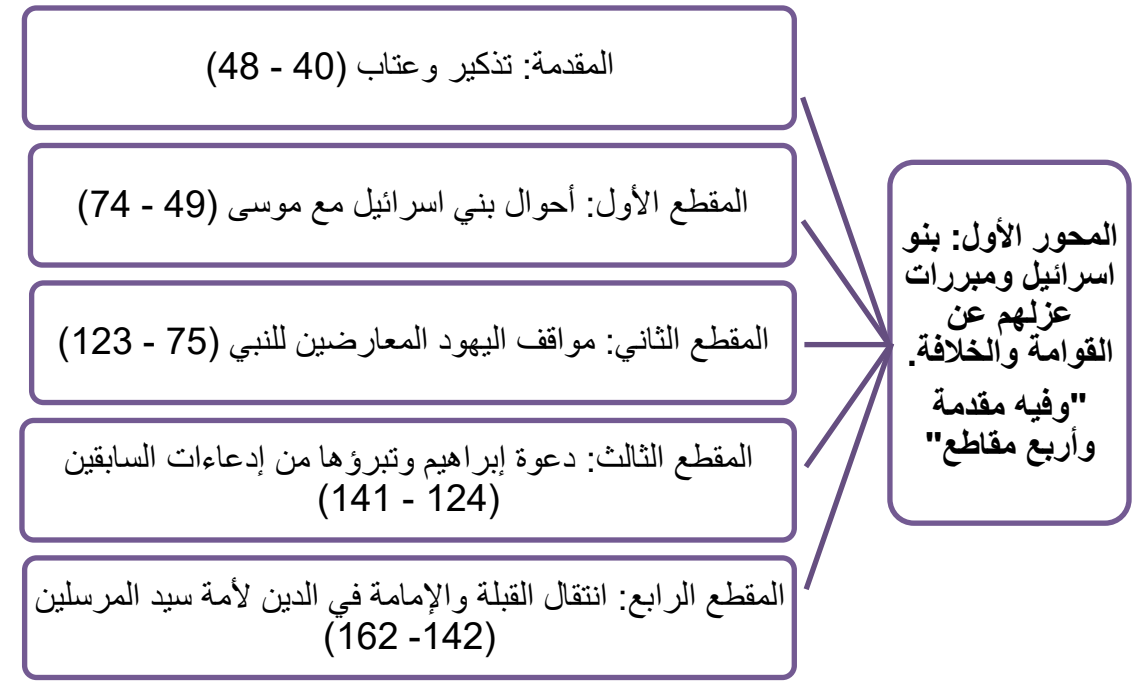
المحور الأول: بنو اسرائيل ومبررات عزلهم عن القوامة والخلافة.
"وفيه مقدمة وأربع مقاطع"
المقدمة: تذكير وعتاب (40 - 48)
المقطع الأول: أحوال بني اسرائيل مع موسى (49 - 74)
المقطع الثاني: مواقف اليهود المعارضين للنبي (75 - 123)
المقطع الثالث: دعوة إبراهيم وتبرؤها من إدعاءات السابقين (124 - 141)
المقطع الرابع: انتقال القبلة والإمامة في الدين لأمة سيد المرسلين (142- 162)

الجزء الثاني

المقطع الرابع والأخير "من المحور الأول":

انتقال القبلة والإمامة في الدين لأمة سيد المرسلين (142- 162)

علاقة هذا المقطع بالمقطع السابق: أن فيه بيان عدم أحقية بني اسرائيل للإمامة وايذان بانتقال الخلافة لأمة الإسلام، وذلك في عدة أمور:

- المقطع السابق فيه ذكر دعوة إبراهيم للنبي، وفي هذا المقطع حصلت استجابة الدعوة.
- المقطع السابق فيه أن إبراهيم وبنيه كانوا على ملة الإسلام، وقد أوصوا ذريتهم بالثبات عليه، ثم ذكرتهم أن بني اسرائيل نكصوا ولم يحملوا الأمانة التي كلفوا بها ولم يتوجهوا إلى قبله إبراهيم، وإنما عادوها وعادوا أهلها.

  وهذا المقطع يبين أمر القبلة ويؤذن بإمامه إبراهيم في البلد الحرام، وأن أمة الإسلام هي أمة الشهود التي استجابت لدعوته.
- بَيَّن المقطع الأول أن من رغب عن ملة إبراهيم فقد سفه نفسه، وذكر في أول آية في هذا المقطع أن اليهود والنصارى هم السفهاء الراغبون عن ملته.

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة

مسألة تحويل القبلة لقبلة إبراهيم هي تطبيق عملي لاستجابة دعوة إبراهيم التي دعاها، فبينت بالأدلة أن الخليفة الحق هو من أطاع الله وامتثل للأوامر وابتعد عن النواهي، وهذا يبين مهمة هذه الأمة وأنها الخليفة على الأرض، وهم الشهداء على الناس.

التفسير الإجمالي وترابط الآيات والتدبر

قال تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)}

"التفسير الإجمالي"

اشتملت الآية على معجزة، وتسلية، وتطمين قلوب المؤمنين، واعتراض وجوابه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه.	
المعجزة	{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ} وهنا أخبر الله النبي بشيء لم يقع أنه سيقع فوقع، فهذا اعجاز واخبار بالغيب.
الإعتراض	• {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا } أخبر الله بما سيقوله السفهاء أي ضعاف العقول الذين رغبوا عن مله إبراهيم وهم اليهود والنصارى، ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه، حيث أرادوا بث الأراجيف في المجتمع الإسلامي فقالوا على سبيل السخرية والإستهزاء، عند تحويل القبلة من بيت المقدس الى المسجد الحرام: ما حولهم وصرفهم عن قبلتهم؟.
الجواب عليه، وصفة المسلم لله	• { قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} رد الله عليهم وأزال الشبهة بأن لله المشرق والمغرب، فكل الجهات له سبحانه، وأي قبله يأمر عباده بها فعليهم امتثال أمره، فكما صليتم للقبلة الأولى بأمره، صليتم للقبلة الثانية بأمره.
صفة المعترض	قليل العقل، والحلم، والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام، فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه، ولا يلقي له ذهنه.

هداية ... وتدبر

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا	لا يعترض على أحكام الله، إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم كما قال تعالى عن المؤمنين: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}،{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: {الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- جاءوا بمحارات العقول، ولم يأتوا بمحالات العقول} جاءوا بمحارات، يعني: أمور قد تتوقف بها العقول؛ لأنهم يأتون بأمور من الغيب لا تصل إليها العقول؛ لأن العقول في هذا الإطار المحدود من عالم المادة، ولا تتوصل إلى الغيوب. ولم يأتوا بمُحالات العقول، يعني: لم يأتوا بشيء يُصادم العقل ويُناقضه.
	أخبر الله بما سيكون من المعترضين من اليهود وغيرهم قبل ان يقولوا، لتوطين النفوس على الصبر والاحتمال، فلا يكون ذلك صادمًا للنفوس ومزعجًا لها، بل يكون الجواب مهيئًا، ونتعلم منه وهذا أن نوطن أنفسنا أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، فلابد أن نتهيأ للصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى الأقدار المؤلمة حتى لاتكون صادمة.
	العدو يحتج على عدوه بما يثير نعرته، ويلزمه؛ حتى يبقى على ما هو عليه، لقوله تعالى:{عن قبلتهم}؛ لم يقولوا: عن القبلة كأنهم يقولون: كنتم تتولون ذلك فما الذي صرفكم عنه؟!! وكأنهم قالوا: بالأمس تختارونها، واليوم تنكرونها.
	فيها تسلية النبي والمؤمنين، بأن الذين سيتعرضون على تحويل القبلة هم السفهاء من الناس فكلامهم لايعبأ له.

قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	ليست كل قضية يجاب عنها بطُرق عقلية وإقناعية وما إلى ذلك، فكل معارض يجاب عليه بالطرق المناسبة في كل مقام جواز تعليل الأحكام الشرعية بمقتضى الربوبية لإسكات الناس حتى لا يحصل منازعة؛ إذا قال أحد: لماذا كذا؟ قلت: الله ربك يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد
	أصل الرد أنه مشروع إذا دعت الحاجة إليه كالشبهات، لكن لا يعني أن يُرد على كل مُجادل ومُبطل. والعلماء تكلموا عن الرد، ومتى يكون الرد، لو كانت الشُبهة قد ذاعت وراجعت وانتشرت فخيف على العامة، فهنا يرد من هو مؤهل للرد وليس كل أحد، ليس كل من هب ودب ، ولابد من مواصفات معنية في الرد، وفي اختيار الحال والوقت والأسلوب. أما إذا كانت الشبهة مغمورة مدفونة فلايتم الرد عليها لأن في الرد ترويج للضلال ونشر للباطل. كذاك الذي بال في بئر زمزم ولما سُأل عن هذا قال: أردت أن أُذكر،
	عموم ملك الله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: {لله المشرق والمغرب} ؛ فهو المالك سبحانه وتعالى للجهات يُصرِّف إليها العباد كيف يشاء؛ ونحن ليس علينا إلا السمع، والطاعة؛ أينما وجهنا توجهنا
	أن الهداية بيد الله؛ لقوله تعالى: {يهدي من يشاء}
	الثناء على هذه الأمة؛ لأنها التي على صراط مستقيم؛ لأن أول من يدخل في قوله تعالى: {يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} هؤلاء الذين تولوا عن بيت المقدس إلى الكعبة وحيث هداها الله إلى استقبال بيته الذي هو أول بيت وضع الناس

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)}

"التفسير الإجمالي"

بعد أن ذكر الله هؤلاء السفهاء وما سيقولون، ذكر أهل العدالة وهم من يقابلون هؤلاء من أهل السفه وخِفة العقول.

ثم بين الله السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع الهداية، ومنة الله عليها:

- **الأول:** {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} وهو أن الله جعل هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، قال الشيخ السعدي: { وسطا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج.

بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها}.

- **والسبب الثاني**: ليكونوا {شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فهم شهداء على الناس في الدنيا: فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود، وشهداء على الأمم السابقة في الآخرة بأن الأنبياء بلغوا الرسالة.

فإن شك شاك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلهذا قال تعالى: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}.ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة، وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيها.

ثم أتى التوكيد للمؤمنين أنهم على الحق في أمر القبلة فبين الحكمة من تغييرها {إِلا لِنَعْلَمَ} أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها، لكنه أراد اختبارهم، وهذا فيه بيان عدل الله أنه لايعاقب أحد بعلمه بل لابد أن يعمل العبد ثم يحاسبه على عمله.

{مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ} ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة، أنه يستقبل الكعبة

وأما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق، واتبع هواه، فإنه يزداد كفرا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته.

{وَإِنْ كَانَتْ} أي: صرفك عن قبله بيت المقدس {لَكَبِيرَةٌ} أي: شاقة {إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا، وأقروا له بالإحسان، حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر بقاع الأرض، وجعل قصده، ركنا من أركان الإسلام، وهادما للذنوب والآثام، فلهذا خف عليهم ذلك، وشق على من سواهم.

- { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }

ثم بين الله أن مَن مات وكان قد صلى إلى بيت المقدس فلن يضيع الله ثوابهم، فالله شديد الرحمة بعباده. فمن رأفته ورحمته بهم، أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها، وأن ميَّزَ عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه، وأن امتحنهم امتحانا، زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجتهم، وأن وجههم إلى أشرف البيوت، وأجلها.

هداية ... وتدبر

لتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}	**قدم الشهادة، وفي شهادة النبي أخر الشهادة: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}** **في الموضع الأول**: اثبات شهادة هذه الأمة على الأمم، وبيان فضلها فقدمت لذلك. **وفي الثاني**: اختصاص هذه الأمة بشهادة النبي وهذا شرف ليس بعده شرف، النبي هو الذي يشهد عليهم، أما الأمم الأخرى فتشهد عليهم هذه الأمة ولا تشهد عليهم أمة.

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ	أن الله -تبارك وتعالى- يمتحن عباده بالأحكام الشرعية كما يمتحنهم -تبارك وتعالى- بالأحكام القدرية الكونية، فما على العبد إلا أن يُذعن ويُسلم ويستسلم لأحكام الله لا يعترض ويقول: هذا الحكم أنا غير مُقتنع به، هذا الحكم ما استوعبته ولا استطاع عقلي أن يتقبله، فهذا يقال له: وما عقلك! {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}
	الله يبتلي عباده وهو عليم حكيم، حكم عدل، أحكامه في غاية العدالة، ومبناها على العلم والحكمة، يضع الأمور في مواضعها ويوقعها في مواقعها {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} [سورة الملك:14] سواء أدركنا هذا أو لم نُدرك حكمته نحن نُدرك أن الذي شرعه حكيم،
	اختار الله مدة للتوجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا تمحيصًا للنفوس، يُمحصها من كل رواسب الجاهلية ومن علائقها التي كانت تتعلق بها، ليُمحص النفوس لتكون مُتبعة لأمر الله كانوا في الجاهلية يُعظمون البيت فتحويلهم إلى بيت المقدس هذا بحد ذاته امتحان للنفوس وتنقية لها من مألوفاتها وعاداتها؛ لتكون تابعة لأمر الله.
	وروى الإمام أحمد في مسنده أن مما يحسدنا عليه اليهود القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها؛ فهم يحسدوننا على هذه الخصلة؛ وكذلك على يوم الجمعة، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين.
	التقدم حقيقة إنما يكون بالإسلام، وأن الرجعية حقيقة إنما تكون بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى: {ممن ينقلب على عقبيه} ؛ فإن هذا حقيقة الرجوع على غير هدًى؛ لأن الذي ينقلب على عقبيه لا يبصر ما وراءه؛ فمن قال للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله رجعيون، قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة؛ لأن الله سمى مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم انقلاباً على العقب؛ ولا أبلغ من هذا الرجوع أن الإنسان يرجع على عقبيه رجوعاً أعمى ـــ والعياذ بالله ـــ لا يدري ما وراءه
{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ	بشارة عظيمة لمن مَنَّ الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه، وحفظه نوعان: حفظ عن الضياع

إِيمَانَكُمْ	والبطلان، بعصمته لهم عن كل مفسد ومزيل له ومنقص من المحن المقلقة، وحفظ له بتنميته لهم، وتوفيقهم لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم، بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم.
وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ	أن بعض الأوامر الشرعية أو النواهي شاقة على النفوس لكن ما الذي يهونها؟ الإيمان والهداية وترويض النفس على الطاعة، فبقدر هداية الإنسان بقدر ما يحصل له من الرسوخ والثبات فلا يتضعضع ولا يتزعزع فتذهب عنه هذه المشقة.
	{إلا على الذين هدى الله} ؛ وهذه أعظم منة منَّ الله بها عليه أن هداه للإسلام؛ فيجب أن يشعر بها الإنسان؛ لا يمنّ بدينه على ربه؛ بل يعتقد أن المنة لله عليه، كما قال تعالى: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين}
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ	أن الله لا يُضيع عمل المؤمن ولا يذهب هباءً، وفيه أيضًا إظهار للمنة والرأفة هي رحمة رقيقة ، فالحكم المنسوخ يُلغي العمل بالحكم في المستقبل وليس مُلغيًا لما مضى من أعمال العاملين على وفق ما أمر الله -تبارك وتعالى
	إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ فقدمهم فهذا يدل على شدة تعلق رحمته بهم ولصوقها وعلوقها بهم، فالله أرحم بعباده من الوالدة بولدها

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144)}

"التفسير الإجمالي"

بعد هذا التمهيد الذي يوطن النفوس، أتى الأمر بتحويل القبلة باعتباره أثر من آثار رحمة الله بالمؤمنين، التي اختتمت بها الآية السابقة، فلما كان النبي يردد نظره إلى السماء شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة، أمره الله باستقبالها وليس الأمر خاصًا به بل لكل المؤمنين في كل مكان، ثم أتى بتسلية للمؤمنين حيث بين الله أن اليهود والنصارى يعلمون الحق لكنهم يعاندون؛ والله مطلع عليهم وسيجازيهم على إنكارهم.

هداية ... وتدبر

تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ	هذا ليس فيه سوء أدب مع الله تعالى أنه ينظر الى السماء، لأنه يترقب نزول الوحي وليس معناه أنه يرفع رأسه من أجل الدعاء -والله أعلم-. والمشروع أن الداعي إذا دعا فإنه ينظر إلى بطون كفيه في الدعاء، وأما في الصلاة فإنه ينظر إلى موضع سجوده، وإذا كان في التشهد فإنه ينظر إلى المُسبحة يُحركها يدعوا بها ويُلقي ببصره إليها.
	عرِف الله ما يُشغل عقلك وَقلبك يعلم مطلوباتك وَ حاجاتك فقط ادع الله بنظرةٍ عينٍ ملؤها الرجاء والطمع فيما عند الله، وإذا ضاقت بك الأرض تضرع لـ ربك ولن يُخيّب الله رجاءك، بل قد يحقق الله لك ماتمنيته وإن لم تدع الله به، وهذا من كمال العناية الربانية.
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا	النبي إنما يكون هواه تبعًا لمحاب الله فإن نفسه أشرف وأكمل من ذلك. وهنا فائدة: النفس إذا صار لها ارتياض بالطاعة وارتقت في درجات العبودية، حصلت لها ألوان الكمالات وصار هواها تبعًا لما يرضاه الله -تبارك وتعالى-.
	بقدر أشواقك للهداية يمنحك الله أنوارها.
وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ	قال الشيخ السعدي: إذا كان المعترض يعلم بخطئه فلا تبال بذلك، فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه، إذا كان الأمر مشتبها، وكان ممكنا أن يكون معه صواب، فأما إذا تيقن أن المعترض معاند، عارف ببطلان قوله، فإنه لا محل للمبالاة، بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية والأخروية، فلهذا قال تعالى: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}.

	يعلمون أنه الحق: إذًا كان الواجب عليهم أن ينقادوا له طالما ظهرت لهم دلائله وأماراته ولا يبقى في حال من المُكابرة، فهؤلاء كانوا يقولون: مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا [سورة البقرة:142] وهم يعلمون أنها حق وأنها من الله -تبارك وتعالى.
	في قوله "من ربهم": قال الشيخ العثيمين: لأن من أقر بربوبية الله سبحانه وتعالى لزم أن يقر بأحكامه، ويلتزم بها؛ لأن الرب له الملك المطلق يتصرف كيف يشاء؛ ولهذا أضاف الربوبية هنا إليهم:{من ربهم}؛ لإقامة الحجة عليهم حيث يعترفون بربوبيته.
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ	تمام مراقبة الله في كل وقت وحين وهذا فيه تسلية للمؤمن بأن الله مطلع على عمله سيجازيه عليه أتم الجزاء، وتهديد للكافر بأنه سيحاسب على عمله بالعذاب الشديد.

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)}

"التفسير الإجمالي"

ولما ذكر في الآية السابقة أن أهل الكتاب يعلمون أنه الحق، وحتى لايظن ظان أنهم ءامنوا بعد أن تبين لهم الحق، بين الله لنبيه أنهم امتنعوا عن اتباع الحق استكبارا وجحودا لا لعدم وجود الآيات، بل الآيات واضحة متتابعة قاطعة؛ فلو أتى النبي لهم بكل آية لم يتبعوا قبلته عنادًا واستكبارًا، وما كان النبي أن يتبع قبلتهم لضلالهم، لأن قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله بل هي اجتهاد منهم: فالنصارى: قبلتهم المشرق، وهم يقرون أن قبله المسيح قبلة بني إسرائيل، واليهود: قبلتهم التابوت واذا كانوا في بيت المقدس وضعوه على الصخرة.

ثم بين الله أنهم وان اتفقوا على رفض قبلتك فقلوبهم مختلفه فلن يتبع أحدهم قبلة الآخر، وهذا تسلية للنبي فقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال حرصه على هداية الخلق يبذل لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة، ويتلطف بهدايتهم، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله، ثم بين الله لنبيه أنه اذا اتبع أهواءهم بعد كل هذا

البيان الواضح فسيكون ظالم لنفسه، وحاشاه من ذلك وهذا تحذير للأمة من اتباع سبيلهم.

هداية .... وتدبر

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ	أن ما يصد اليهود عن الدخول في الإسلام وكذلك النصارى ليس هو الجهل به، ولكن القضية هي أنهم يعرفونه لكن يخشونه على مصالحهم وسلطانهم ومن ثَم فإنهم يكيدون له بأنواع الكيد، وبشتى الطرق والوسائل. سواء بطرق مُباشرة وبطرق غير مُباشرة منذ بعث الله نبيه، ونقر بأن منهم من لم يبلغه الإسلام بصورة صحيحة، لكن هذا لايعني جهلهم به. لكن هذا لا يعني أن لا تُقدم الدعوة فإن ذلك فيه من إقامة الحجة، ويفتح الله قلب من شاء، الهداية بيد الله ليست إليك. قد ترى إنسانًا في غاية العتو وتستبعد إيمانه وهدايته ثم يتحول بعد ذلك إلى شيء آخر يتحمس لهذا الدين وينصره نصرًا لربما لا تؤدي بعضه، فهذا أمر مُشاهد، الذين حاربوا الإسلام وحاربوا النبي كيف حولهم الإسلام إلى شيء آخر إلى أنصار، ومنهم سيف الله المسلول خالد بن الوليد وسُهيل بن عمرو العامري الذي أراد عمر أن يقلع ثنيتيه؛ لأنه خطيب مفوه فلما أُسر في يوم بدر عمر عرض على النبي أن يخلع ثنيتيه بحيث يصبح ألثغ لا يعرف أن يخطب، فنهاه النبي عن هذا وقال: فعسى أن يقوم مقامًا تحمده عليه وفعلاً لما توفي النبي قام خطيبًا في قريش وقال: "أيها الناس! يا معشر قريش إنكم آخر من دخل في هذا الدين فلا تكونوا أول من يخرج منه" فثبتهم فثبتوا فلم ترتد قريش، بينما قبائل العرب ارتدت.
	هداية التوفيق بيد الله، وما على الإنسان إلا اتباع الأسباب. الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على هداية الخلق؛ لأن قوله تعالى: {ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية} دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض الآيات، ويبين الحقائق؛ ولكن لا ينتفعون بها.

وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ	من عرف الله معرفة صحيحة عرف حقيقة دين الإسلام ولن يتحول عنه بحال من الأحوال، بل ينشرح صدره وتخالط بشاشته قلبه. ولذلك أسئلة هرقل لأبي سفيان لا يوجد فيها سؤال واحد عن طلب معجزة، فلما أجابه عنها، قال: إن كانت كما يقول فسيملك ما تحت قدمي هاتين، ولولا ما أنا فيه لأتيته حتى أغسل عن قدميه -عليه الصلاة والسلام- هذا هرقل لكنه شح بملكه من جملة الأسئلة التي وجهت لأبي سفيان من قِبل هرقل: هل يرتد أحد من أتباعه بعد دخوله في الإسلام سخطة له؟ فقال: لا، فقال: هكذا الإيمان إذا خالط القلوب. فالذين يرتدون من بعض المنتسبين إلى الإسلام الان لم يعرفوا الدين حقيقة ولم يحصل لهو اليقين. كما قال شيخ الإسلام:" كثير من المسلمين يرثون الإسلام وراثة"، فمثل هؤلاء لو حصل لهم تشكيك لحصل لهم زعزعة وخلخلة في هذا الإيمان فيكون قلبه محلاً قابلاً للتشكيك ، لكن من عرفه بقناعة فإنه لا يرجع عنه أبدًا -والله أعلم.
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِمَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ	وجوب الانقياد للحق إذا ظهرت آياته؛ لأن هذه الآية سيقت مساق الذم؛ فدل هذا على وجوب اتباع الحق إذا تبينت الآيات وأن الإنسان لا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد قيام الحجة فقد يتابع غيره جهلاً؛ فلا يؤاخذ به ـــ وإن كان يسمى ضالاً؛ لكنه ليس بظالم
	إنما قال: "أهواءهم "ولم يقل "دينهم "لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}.
	العلم حقيقة هو علم الشريعة؛ لقوله تعالى: {من بعد ما جاءك من العلم} أتى بـ «أل» المفيدة للكمال؛ ولا شك أن العلم الكامل الذي هو محل الحمد والثناء هو العلم بالشريعة.
	العالم إذا انحرف فإن ذلك أعظم من انحراف غيره من سائر الناس. فأسوأ مثلين في كتاب الله هما للعالم المنحرف الذي لا يعمل بعلمه -ما ذكرهما الله: الأول الكلب، والثاني الحمار الكلب: ضربه الله مثلاً لرجل من بني إسرائيل أتاه الله آياته، وكان من علمائهم فانحرف، ولم يكن متبعاً لما علم، فحاد عنه

	وقيل هذا في رجل من رهبان اليهود يقال له: بلعام بن باعوراء في قوله: فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث [سورة الأعراف:175-176] والثاني: مثلاً ضربه الله لطائفة بكاملها، وهم اليهود الذين أعطاهم الله كتاباً وعلماً، وميزهم بهذا عن سائر الأمم، ومع ذلك لم يعملوا بكتابهم، فمثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً، وعلى قدر المقام يكون الملام.
إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ.	وهو تهديد ووعيد لمن يتبع أهواء المخالفين لشريعة الإسلام فاحذر من اتباع الباطل بعد معرفة الحق: فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لو اتبع الباطل بعد معرفة الحق -وحاشاه- صار ظالما مع علو مرتبته، وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى.
	التلطف في الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ لقوله تعالى: {لمن الظالمين} ما قال «ستكون ظالم» ونظيره قوله تعالى: {عبس وتولى} فمن لايعرف تفسيرها لن يخطر بباله أن المراد بها النبي.
	ليس بين الله تعالى وأحد من الخلق محاباه، فكل من خالفه فهو ظالم. قال الله تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى له: {ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين}

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)

"التفسير الإجمالي"

وأتت التسلية للنبي فقال: وإن طعن اليهود في القبلة فما هو إلا واحد من طعنهم في الإسلام، فقد تقرر عندهم، وعرفوا أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به، حق وصدق، وتيقنوا ذلك، كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم ولا يشكون فيه ولا يمترون ولكن فريقا منهم - وهم أكثرهم - الذين كفروا به، كتموا هذه الشهادة مع تيقنها، وهم يعلمون {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ}، ولكن هذا الحق فلاتكن أنت وأمتك من الشاكين في أنه من ربك، وفي كونهم يكتمون.

هداية .... وتدبر

كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ	اختار الأبناء على النفس وعلى كل شيء: لأن الإنسان إذا ولد فإنه لا يعرف نفسه ولايعرف أبويه ولايعرف من حوله، فيحتاج إلى مدة بعد ذلك يُدرك ما حوله، ويتعرف على الأشياء، بينما الولد يعرفه أبوه منذ أن تقع عينه عليه.
	وجه ذكر الأبناء دون البنات: الأول: باعتبار أنهم أكثر حفاوة بالأبناء فيعرفه معرفة أدق لشدة حفاوته به. الثاني: لكثرة مُلازمتهم للأبناء ومُخالطتهم، فيسهل عليهم تمييزهم. الثالث: من باب التغليب، غلب الأبناء على البنات والمقصود الجميع.
وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ	الاحتراس في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: {وإن فريقاً

لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ	منهم} ؛ لأن كتمان الحق لم يكن من جميعهم؛ بل من فريق منهم؛ وطائفة أخرى لا تكتم الحق، فلابد للإنسان أن يكون دقيقًا في ألفاظه عادلًا حتى مع أعدائه، والإنصاف عزيز.
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ	فإن كان ذلك موجهًا للنبي وحاشاه أن يكون من المُمترين الشاكين، فهو خطاب إليه يتوجه إلى أمته، زيادة في التوبيخ والتقريع، لمن يشك في دين الله.
	الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ: عناية الله -تبارك وتعالى- بنبيه في تثبيته وتقوية عزمه وقلبه على لزوم الحق، وفيها عناية الله بهذه الأمة أن ما أنزل عليها حق من الله، وهذا يتطلب شكر الله على هذه النعمه، وفعل الطاعات وترك المحرمات.
	فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ: حث وحض يقتضي الثبات على هذا الأمر والبُعد عن الشك والامتراء، فهذا تأييد للنبي من ربه، وتأييد للمؤمنين.
	كل شيء خالف ما جاء عن الله -تبارك وتعالى- فهو باطل، وأهله من أهل الامتراء، قال تعالى: {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ} وما دام الحق من الله فإنه يجب أن يؤمن الإنسان به، وأن لا يلحقه في ذلك شك، ولا مرية.

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)

"التفسير الإجمالي"

ثم أتت الآيات بحجة أخرى على أهل الكتاب في أمر القبلة وهي أن لكل أمة من الأمم وجهة تتوجه إليها في صلاتها، فإذا كان الأمر كذلك فلمَ الإعتراض على قبلة المسلمين.

{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} ثم بين الله ما هو أولى بالإهتمام والإنشغال فقال: ليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل، ولكن الشأن كل الشأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية.

قال الشيخ السعدي: {والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، عمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر.

ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب قال: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}

هداية .... وتدبر

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا	ليس الشأن في استقبال القبلة، لأنها قد تتغير ويدخلها النسخ، ولكن الشأن في امتثال طاعة الله، والسير على الصراط المستقيم، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، أما الإعتراض على أوامر الله ونواهيه فهذا سبيل الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة.
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	عليكم معاشر المؤمنين أن تُبادروا إلى ما ينفعكم ويرفعكم فلا تذهب نفوسكم على هؤلاء حسرات، فتقولوا لماذا لم يهتدوا بالإسلام؟! ويستجيبوا للقرآن؟! فإن هؤلاء ماضون على ضلالهم وباطلهم والأمر ليس إليكم. ولابد أن نضع صب أعيينا أمر مهم وهو أن المُسافر في طريقه إذا التفت لكل عارض يعرض له فإنه قد ينقطع في سيره، وأقل ما يُصيبه في ذلك أن يُبطئ به السير فيتأخر ويتراجع وقد لا يصل فعليه أن لا يلتفت إلى شيء من ذلك وقد مثل الحافظ ابن القيم -رحمه الله- حال السائر إلى الله بذلك الذي يمضي إلى المسجد مثلاً فيجد من يعرض له فإن اشتغل به فإنه يؤخره عن إدراك الركعة، أو يؤخره عن إدراك الجماعة، لكن إن مضى يكون قد أدرك وما ضره.
	قال الشيخ السعدي: الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فلله ما أجمعها وأنفعها من آية."
	فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إذا جاءت مواسم الطاعة والعبادة فلابد من المُبادرة إليها، فليس بصحيح أن تستوي هذه المواسم مع غيرها، تأتي عشر ذي الحجة، ويأتي رمضان والعمل هو العمل، ما تغير ما زاد ما طرأ عليه شيء، في عشر ذي الحجة وقبلها الحال سواء، فهذا يدل على ضعف اليقين وعلى ثقل النفس وقعودها عن الطاعة.
أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ	** مرجع الجميع إلى الله فيحاسب العباد على أعمالهم

بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا	أنت في مضمار السباق فكن حيثما تود أن يراك الله تعالى واعمل لآخرتك فإنها دار البقاء والمستقبل الدائم.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)

"التفسير الإجمالي"

ثم أعاد الأمر باستقبال القبلة من أي مكان أراد وفي أي موطن حل، ليعلم الجميع أن هذا الحكم لايختص بمكان دون مكان وهذه التولية حق من الله لاتنسخ، أما المعاندون المجادلون فإن الله سيحاسبهم وليس بغافل عما يعلمون.

وجاء الأمر الثالث بتوجيه الوجه قبل المسجد الحرام، وفيه الجمع بين خطاب النبي وخطاب المؤمنين، لبيان حِكَم التحويل وهي ثلاثة:

أولها: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ } لئلا يكون للمجادلين حجة على المسلمين، فاليهود يعلمون أن قبلتنا هي الكعبة والكفار يرون النبي يقول ملة إبراهيم حنيفًا ولايتبع قبلته.	**ثانيا: {وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ}** إتمام النعمة على المسلمين، بأن تكون القبلة تجاه المسجد الحرام مثابة للناس وأمنا.	**ثالثًا: {وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }** هداية المسلمين الى ما ضلت عنه الأمم السابقة.

قال الشيخ السعدي	وكان صرف المسلمين إلى الكعبة، مما حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها هذه الآيات. منها: الأمر بها، ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة. ومنها: أن المعهود، أن الأمر، إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعا، أو للأمة عموما، وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله: {فَوَلِّ وَجْهَكَ} والأمة عموما في قوله: {فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ}.

	ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات الباطلة، التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة، كما تقدم توضيحها. ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبلة أهل الكتاب. ومنها قوله: {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال: {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}. ومنها: أنه أخبر - وهو العالم بالخفيات - أن أهل الكتاب متقرر عندهم، صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم

هداية .... وتدبر

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	كما يتوجه العبد بوجهه إلى المسجد الحرام فيستقبل القبلة، يتوجه بقلبه إلى الله دون أن يلتفت إلى أحد سواه ليزين له العبادة يُرائي أو يُسمع أو غير ذلك، فهما وجهتان للعبد.
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	كمال علم الله سبحانه وتعالى، ومراقبته لخلقه، فيبعث على الإنسان الإتيان بالأعمال على الوجه الأكمل الصحيح، لأن الله سيجازيهم عليهم فليس بغافل عنها، وكذلك ما يقع من الإخلال بشيء من ذلك أو المُخالفات والمعاصي .
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	تكرار الأمر الهام لتثبيته، والثبات عليه، ودفع المعارضة فيه. لأنه كلما كرر كان مقتضاه أن الأمر ثابت محكم يجب الثبوت عليه؛ وكون المسلمين ينقلون من وجهة إلى وجهة في القبلة أمر هام له شأن عظيم؛
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ	أن المعارضين للحق شغبهم وتلبيسهم دائم، ينتهزون الفُرص للفتك بالمسلمين وتشكيكهم في دينهم. سواء كان ذلك في مقام تحويل القبلة أو في غيره، وهذا في طوائف المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين على حد سواء اليهود يقولون: {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}

	في غزوة النضير لما قُطع بعض النخيل، قالوا: ما بال قطع النخيل وأنت تدعوا إلى الصلاح والإصلاح، فأنزل الله {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ }[سورة الحشر:5].
لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ	دفع ملامة اللائمين ما أمكن؛ لكن الظالم لا يدفع ملامته شيء لأنه سيلوم وهو يعلم ببطلان لومه. وفيها أنه ينبغي للإنسان أن يعرف شبه المخالفين التي يدعونها حججاً لِيَنْقَضَّ عليهم منها، فيبطلها؛ قال الله تعالى: {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون} [الأنبياء: 18]
فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي	مهما قال الذين ظلموا من كلام، ومهما قالوا من زخارف القول، ومهما ضايقوا من المضايقات فلا تخشوهم؛ لأنهم ظلمه وحجتهم باطلة وواهية.
	الفرق بين الخشية والخوف: الأول: «الخشية» لا تكون إلا عن علم؛ لقوله تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} [فاطر: 28] والفرق الثاني: أن «الخشية» تكون لعظم المخشيّ؛ و «الخوف» لضعف الخائف ـــ وإن كان المخوف ليس بعظيم
	علاج الخوف من الناس .. أن تحيي في قلبك الخوف من الله لابد التخلية قبل التحلية؛ أزِلْ الموانع أولاً، ثم أثبت؛ فأولاً فرِّغ قلبك من كل خشية لغير الله حتى يكون المحل قابلاً، ثم مكن خشية الله من قلبك
	وجوب تنفيذ شريعة الله عزّ وجلّ، وألا يخشى الإنسان لومة لائم. في الذهاب للمسجد تجد رجلين أحدهما يذهب في انكسار يخاف أن يلزمه أحدهم أنه درويش أو متطرف أو إرهابي لانه يصلي في المسجد، وآخر شامخ سعيد بدينه ويدعو الناس للخير بل قد يذهب اقرانه معه للصلاة خشية أن يلومهم، لابد أن نرفع رؤوسنا بتطبيق شرع الله، كذلك في الحجاب بعض النساء تستحيي أن ثيابها فضفاضة، والأخريات تعتز بحجابها وتسعد به وترى أن فيه الرفعة.
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	**تنفيذ أوامر الله، وخشيته سبب للهداية؛** والهداية نوعان: هداية علمية؛ وهداية عملية.

فـ «الهداية العلمية» وهي هداية الإرشاد والبيان وهي وسيلة: معناها أن الله يفتح على الإنسان من العلم ما يحتاج إليه لأمور دينه ودنياه. وهذه بيد الله وكذلك الأنبياء والعلماء وغيرهم. و «الهداية العملية» وهي هداية التوفيق وهي الغاية: أن يوفق للعمل بهذا العلم وهي بيد الله وحده. والآية تشمل النوعين: لأنهم لم يعلموا أن مرضاة الله بالتوجه إلى الكعبة إلا بما علمهم الله؛ ثم إن الله وفقهم للعمل به؛ فلم يمانعوا أبداً.	
قال الشيخ السعدي: فالله تبارك وتعالى - من رحمته - بالعباد، قد يسر لهم أسباب الهداية غاية التيسير، ونبههم على سلوك طرقها، وبينها لهم أتم تبيين، حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق، المعاندين له فيجادلون فيه، فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل، وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق، لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء، فلولا الليل، ما عرف فضل النهار، ولولا القبيح، ما عرف فضل الحسن، ولولا الظلمة ما عرف منفعة النور، ولولا الباطل ما اتضح الحق اتضاحا ظاهرا، فلله الحمد على ذلك.	

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)

"التفسير الإجمالي"

ثم اتصلت هذه الآية بالتي قبلها: فإن كان الله قد حول قبلة المسلمين اتماما لنعمته عليهم وهدايتهم فهذا ليس ببدع من إحسان الله، ولا بأوله، بل أنعمنا عليهم بأصول النعم ومتمماتها، وهو ارسال الرسول الذي يتلوا عليهم آيات الله المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، {وَيُزَكِّيكُمْ} أي: يطهر أخلاقكم

ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، {وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ} أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه، {وَالْحِكْمَةَ} قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، وتنزيل الأمور منازلها. {وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} لأنهم كانوا قبل بعثته، في ضلال مبين، لا علم ولا عمل، فكل علم أو عمل، نالته هذه الأمة فعلى يده صلى الله عليه وسلم، وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق، وذلك استجابة لدعوة إبراهيم.
ثم أرشدهم الله إلى أنه ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان، فجزاء هذه النعم أن تذكروا الله بالقلب واللسان والجوارح ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: {من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم} . وتشكروه على ما أنعم عليكم بهذه النعم، والشكر يكون بالقلب، إقرارا بالنعم، واعترافا، وباللسان، ذكرا وثناء، وبالجوارح، طاعة لله وانقيادا لأمره، واجتنابا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}.

هداية .... وتدبر

كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ	بيان نعمة الله تعالى علينا بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليُعبَد بما شرع؛ ولا يمكن أن نعرف أن هذا مما يرضاه الله أن نتعبده به، وهذا مما لا يرضاه إلا بواسطة الرسل ومَثَل يسير يبين ذلك: لو أُمرنا بالتطهر للصلاة ـــ ولم يبين لنا الكيفية ـــ لتنازع الناس في ذلك؛ وأخذ كلٌّ برأيه؛ فافترقت الأمة؛ فلولا أن الله أبان لنا كيف نعبده ما عرفنا كيف نعبده، ولهذا قال أبو ذر رضي الله عنه: «تركنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا عندنا منه علم»

	أن كون الرسول مِنّكم يقتضي أن تكون قريش أول من يصدق به؛ لأنهم يعرفونه، ويعرفون نسبه، ويعرفون أمانته؛ ولأنه يكون مُشاكلاً لهم في طبائعهم، وفي بعثته إظهار المعجزة فإن مجيء هذا الوحي على يد رجل أُمي هذا أمر من غير مقدور البشر، كما أنه جاء موافقًا لصفته التي جاءت في الكتب المتقدمة ولهذا وبخهم الله تعالى على الكفر به، ووصْفِه بالضلال، والجنون، فقال جل وعلا: {ما ضل صاحبكم وما غوى} [النجم: 2] ، وقال جل وعلا: {وما صاحبكم بمجنون} [التكوير: 22] لو بعث الله لهم رسولا من غيرهم لكان ذلك شاق عليهم في فهمه والقبول منه، فمن لم يتبع النبي ولم يؤمن به، ولم يقتضي بسنته، وينصره بتطبيق الشرع فقد شابه الكفار..
	إعزاز هذه الأمة الأمية التي كان الفُرس والروم من حولها لا يعبئون بها، ولربما أُطلق على هؤلاء العرب ذُباب الصحراء؛ لقلة شأنهم، ولمهانتهم على الناس، فلما بعثه الله تحولت هذه الأمة إلى الريادة والقيادة بعد أن كانوا يتقاتلون على أتفه الأسباب فاللائق بهؤلاء العرب أن يكونوا أول من يؤمن به، وأول من يُقبل على دعوته، وأول من ينصر هذا الرسول
يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا	أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أوحي إليه على وجه الكمال؛ قال الله تعالى: {إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه} [القيامة: 17 ــ 19]. وهذا فيه دليل على كمال الدين، ورد على كل من ابتدع في الدين في أي باب من أبواب العبادات: سواء في الصلاة أو الذكر أو الإحتفال بالأعياد.
وَيُزَكِّيكُمْ	أن الشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم كلها تزكية وتطهير للأمة، ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة؛ وتعمير القلوب بالإيمان والتقوى والعمل الصالح والأخلاق الزاكية، فإذا أردت التقوى والإيمان فعليكم بالوحي فهو أكثر ما يربي الإنسان ويطهره. التزكية والتطهير والتربية تكون بالكتاب والسنة ودراسة سيرة النبي وشمائله، فليست بالمناهج المستوردة ولا التربية الخالية من نور الوحي.
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ	اشتمال الشريعة على الحكمة، فما من شيء من مأموراتها، ولا منهياتها، إلا وهو مشتمل على الحكمة وهي وضع الشيء في موضعه، وأعظم الحكم في الشرائع هي طاعة الله ورسوله، سواء

	عقلنا المعنى أم لا، ولهذا لما قالت معاذة لعائشة رضي الله عنها: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»؛ فبينت الحكمة من ذلك؛ وهو طاعة الله، ورسوله؛ وهذه حكمة لازمة في كل حكم سواء عقل معناه، أو لم يُعقَل.
وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ	التعبد لله بحب النبي، ونسبة الخير إلى أهله، لأننا تعلمنا الأحكام الشرعية والكونية من النبي، وليس لنا علم بها قبل تعليم النبي. لا نعرف كيف نصلي إلا بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولا كيف نتوضأ، ولا مقدار الواجب في الأموال من الزكاة، ولا مَن تُصرف إليهم الزكاة، ولا غير ذلك من أمور الشريعة إلا بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهناك أحكام قدرية لا نعرفها أيضاً علمنا الله سبحانه وتعالى إياها، كابتداء الكون، ونهايته: كخلق السموات، والأرض؛ واليوم الآخر؛ إذاً فعلومنا الشرعية، والقدرية متلقاة من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وليس لنا علم بها قبل تعليم النبي صلى الله عليه وسلم
	هذه الآية تبين مراتب الفقه في الدين، وكيفية التعليم، الأولى هي التلاوة والتلقين والحفظ، ثم بعد ذلك التربية على معاني القرآن، ولهذا جاء عن حذيفة: تعلمنا الإيمان قبل القرءان، ثم تعلمنا القرءان فازددنا به إيمانا ثم تأتي المرتبة الثالثة وهي الفقه في الدين. ونحن الآن نتلقى القرآن قبل الإيمان فكانت النتيجة أن الكثير يقرأون من فاتحته إلى خاتمته لا يعرفون آمره ولا زاجره وما إلى ذلك، لابد من التزكية والتربية على معاني كتاب الله -تبارك وتعالى {تلاوة من غير تربية لا تكفي وتلاوة مع التربية من غير فقه في الدين أيضًا لا تكفي، فإذا اجتمع للمرء هذه الأمور الثلاثة فقد حصل له الكمال الذي يكون فيه بأعلى مراتب أهل الإيمان.}
	الأصل في الإنسان الجهل، ومن نعم الله علينا أن منَّ علينا بالفهم والعلم، قال تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة} [النحل: 78] ؛ فبين طرق العلم: {السمع والبصر} ؛ وبهما الإدراك؛ و {الأفئدة} ؛ وبها الوعي، والحفظ.
فَاذْكُرُونِي	تأمل ... تدرك ... ثمرة الذكر أن الله يمنحك به آفاقا واسعة في

أَذْكُرْكُمْ	العلم والفهم، فمن أخذه بحقه .. فسيتغير فيه كل شيء.. ويوفق غاية التوفيق.
	لو لم يكن للذاكرين من الشرف إلا أن الله يذكرهم لكفاهم.. وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء .. ويوفق إليه من أراد .. فالذكْر من أسهل الطاعات لكن لا يوفق له إلا القليل.
	الذكر قريب المنال لا يحتاج إلى عمل كثير ولا إلى جهد كبير وإنما مباشرة: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ] فرتب عليه هذا الجزاء قال البناني: إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ... ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك؟! فقال: إذا ذكرته ذكرني "فاذكروني أذكركم"
	لو استقر يقين هذه الآية في قلبك، ما فتر لسانك عن ذكر علاّم الغيوب،وما جفت شفتاك من ذكر الله. تفكر في ذلك ...ما هو الهم الذي سيصيبك ..والله يذكرك؟ ما هو المرض الذي سيضرك.. وهو يذكرك؟ ما هو الخوف الذي سيسهرك.. وهو يذكرك؟
	لَيْس الذاكر من قَال : سُبْحَانَ الله والْحَمْد لله، وقَلبه مُصرٌّ على الذُّنُوب، وإِنَّمَا الذاكر من إِذا هَمَّ بِمَعْصِيَة؛ ذكر مقَامه بين يَدي علام الغيوب
وَاشْكُرُوا لِي	العبد بين نِعم يتقلب فيها يحتاج معها إلى شكر، وبين طاعات يوفق إليها وهي أجل النعمتين فيحتاج معها إلى شكر أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَعَلَيْهِ مِطْرَفٌ مِنْ خَزٍّ لَمْ نَرَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ، فَقَالَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، «مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ». **شكر الله يكون بأمور:** الأول: ظهور أثر هذه النعمة باستعمالها فيما أباحه الله من غير سرف ولا افتخار، ولذلك فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. وهذا لا يعارض: من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها"، وكذلك في قوله: البذاذة من الإيمان، ليس المقصود بالبذاذة: ترك النظافة، وإنما المقصود ترك رفيع الثياب، أي: يلبس أشياء قد تكون وسطاً.

	الثاني: من شكر النعمة أن يقر الإنسان بها ولا يجحدها.
وَلا تَكْفُرُونِ	من أعظم الكفر كفر النعمة وأعظمه أن يستعمل العبد نعمة الله - تبارك وتعالى- عليه بمعصيته.
	أكثر الناس شكراً لنعم الله، أكثرهم ذكراً لله، فالذكر بوابة الشكر (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)
	العبد بين هاتين الحالتين لا يُفارقهما بحال من الأحوال الذكر والشكر، فهو بين نِعم مُتجددة وبين ذكر لربه -تبارك وتعالى- وطاعة يتقرب بها إليه، ولهذا كان أنفع الدعاء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم-رحم الله الجميع: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)}

"التفسير الإجمالي"

ثم بين الله لهم أن أعظم ما يعينهم على الثبات في مقابل هذه الإفتراءات والشبهات، الإستعانة بالصبر والصلاة، فالصبر يشخذ الهمم ويقوي العزائم ويجعل أهله المتخلقين به في معية الله، وحفظه ونصره، وكذلك الصلاة ذات الخشوع والخضوع أعظم معين على الثبات ومجابهة الكربات.

هداية .... وتدبر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا	خاطبهم بالإيمان لأنهم المتأهلون للقبول عن الله -تبارك وتعالى- فهذا الإيمان الذي أعلنوه يقتضي القبول والانقياد والتسليم لربهم وخالقهم
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ	اطلبوا العون من الله في كل أموركم ومطالبكم الدينية والدنيوية بالصبر بكل أنواعه، بأن تصبروا على المصائب والنوائب والشدائد فلاتتسخط، وأن تصبروا على طاعة الله حتى تؤديها، وأن تصبروا عن معصيته حتى تتركها، كل ذلك يُستعان عليه بالصبر وكذلك بالصلاة، فهي الصلة بين العبد وربه، فالنبي كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ويقول: قم يا بلال فأرحنا بالصلاة. وكذلك أيضًا هذه الصلاة كما أخبر الله {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [سورة العنكبوت:45] لما نُعي إلى ابن عباس أخوه، نزل من راحلته -وهو بين مكة والمدينة- فصلى وقال: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} ونقل ذلك عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي زوج عبد الرحمن بن عوف، لما مرض فأغمي عليه، فظنوا أنه قد مات،

	فخرجت إلى المسجد، وجعلت تصلي عملاً بهذه الآية: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ}
	شدة الاقتران بين الصبر والصلاة، فهما العون بعد الله -تبارك وتعالى- على تحقيق المطالب الدنيوية والأخروية، فالإنسان كما قال الله خلق في كبد وتعب ومشقة فيحتاج إلى صبر، ويحتاج إلى الصلاة ففيها تقوية الصلة بين العبد وبين ربه، فيكون أدعى لقوته ونشاطه وصبره وتحمله..
	الصلاة التي تنفع وتؤثر هذا التأثير هي التي تكون مستوفية لشروطها وأركانها وواجباتها واستحضار القلب فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه ولذلك يقول الله -تبارك وتعالى- {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ} و{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}ولا يقول: أدوا الصلاة؛ لأن إقامتها تقتضي الإتيان بها على الوجه المشروع، والحكم المُعلق على وصف يزيد بزيادته وينقص بنقصانه، فبقدر ما يكون من إقامة الصلاة يكون الأثر المترتب عليها، فتنهاه عن الفحشاء والمنكر، ويحصل له من الصبر والثبات والقوة على تحقيق مطالبه، هذا بالإضافة إلى ذكر الله الدائم المستمر، وكما في قوله -تبارك وتعالى: وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	**معية الله الخاصة لا تكون إلا لأهل الإيمان** وهي تقتضي التأييد والتثبيت والهداية والنصر والتوفيق وما إلى ذلك. وأما المعية العامة التي تكون لكل الخلق فذلك بالإحاطة والعلم، ونحو ذلك
	إذا آمن العبد أن الله معه فإنه يثبت ويقوى وينشط ويُقبل على ربه إقبالاً صحيحًا، فلا ييأس ولا يقنط ولا يُحبط ولا يقلق وإنما يكون دائمًا بحال من الإقبال والعمل والجد في طاعة الله -تبارك وتعالى.
	إلى من أثقله الألم وأنهكهُ التعب، لاتستوحش واصبر فإنَّ الله معك!! فلو لم يكن لهؤلاء من أهل الاستعانة بالصبر والصلاة إلا معية الرب -تبارك وتعالى- لكفى بذلك فضلاً وشرفًا

{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154)}.

"التفسير الإجمالي"

لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور ذكر نموذجا مما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقته في نفسه، ولكونه مؤديا للقتل، وعدم الحياة.

قال الشيخ السعدي: ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون.

فالشهداء {أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} .

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح، والاستبشار وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش.

هداية .... وتدبر

وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ	القتل في سبيل الله لابد أن يكون مستوفيًا للشروط الصحيحة: **أولًا:** أن يكون خالصًا في جهاده مُخلصًا لا يكون جهاده رياءً وسمعة أو حمية جاهلية أو نحو ذلك. **ثانيًا:**استقامة العمل، أن يكون هذا الجهاد في أصله مشروعًا. فكم من إنسان يظن أنه يُجاهد في سبيل الله وهو يُفسد، ويكون عبدًا

	للشيطان مُنقادًا له فيما يُزينه له ويُمليه عليه قال النبي في الرجل الذي قتل وقالوا هنيئا له الشهادة: {إن الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم}، إذا كان هذا في شملة، فكيف بالذي يخبط خبط عشواء؟ ويكون فعله فسادًا في الأرض يعود ضرره وأثره على أهل الإسلام، بل لربما كان قتله موجهًا إليهم.
	هذه الآية تدل على عناية الله -تبارك وتعالى- بهؤلاء الذين قتلوا في سبيله.
بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ	**الجزاء من جنس العمل** هؤلاء حينما بذلوا مُهجهم رخيصة في سبيل الله -تبارك وتعالى- عوضهم الله بحياة أكمل وأرفع وأعظم، فثواب الله سبحانه وتعالى للعامل أجلُّ، وأعلى من عمل العامل. وذلك؛ لأن الشهيد عرض نفسه للموت ابتغاء ثواب الله؛ فأثابه الله، حيث جعله حياً بعد موته حياة برزخية أكمل من حياة الدنيا؛ لقوله تعالى: {عند ربهم يرزقون}
	معيار الربح والخسارة في هذه الحياة الدنيا عند الناس ليس كالمعيار الذي عند الله -تبارك وتعالى، قد لا يعرف الناس قدر انسان، ولكن قدره عند الله وافر. مثاله: إذا كان أيوب بقي مدة طويلة وهو في المرض وهو يُعاني ويُكابد ابتلاء من الله يوسف أُخذ وألقي في البئر قبل نبوته، ثم بعد ذلك بيع بثمن بخس، الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يُباع بثمن بخس ثم يُسترق هذه المدة الطويلة، ثم يُسجن هذه المدة الطويلة موسى يذهب قبل نبوته إلى مدين خائفًا يترقب، ويبقى في أرض مدين يرعى الغنم عشر سنين في مهر امرأة فالإنسان لا حاجة لأن يتزين للناس بعمله ويجمله، ولا أن يُظهر عمله، وإنما يعمر ما بينه وبين الله -تبارك وتعالى- وإن لم يعرفه الناس، وإن لم يُعظم، وإن لم يكن بذي منزلة عندهم.
	في هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم والله تعالى قد: {اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} .

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)}.

"التفسير الإجمالي"

وبعد أن أمر الله عباده بالصبر والصلاة على حصول المكروه، أعقب ذلك بذكر الإبتلاء وبيان أنه ضرورة للتمحيص وللقيام بوراثة إبراهيم، فقد ابتلي إبراهيم ثم مكنه الله.

ثم ذكر الله أنموذجًا من الإبتلاءات وهو الخوف والغم لتوقع المكروه ونقص الطعام وتلف الأموال وموت الانفس ومرضها، وذلك حتى تتوطن نفسك وتتهيأ لكل ما قد يصيبها.

ثم ذكر عاقبة الصبر عند المصيبة بأن للصابرين المعتقدين بالرجوع إلى الله فيجازيهم على أفعالهم بأن لهم الثناء الحسن والمغفرة ورحمة واسعة من الله وهم المهتدون حقًا.

وقد امتثل النبي الأمر فبشر الصابرين بخلف من الله فقال: (ما من تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها).

هداية .... وتدبر

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ	أمر واقع لا محالة، ففيها توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت وهذا من لطف الله بنا حتى نستعد للابتلاء، قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ} جبلت على كدر وأنت تريدها ... صفوًا من الأقدار والأكدار فالدنيا لا تصفوا لا للأنبياء، ولا لغير الأنبياء، لا تصفوا للكبراء،

	ولا للصعاليك، فالكل يُكابد فيها والكل سيرحل، ولن يبقى إلا وجه الله
بِشَيْءٍ	قال الشيخ السعدي: **{بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك}.** فالابتلاء للتمحيص ورفع الدرجات، وليس للإهلاك، فالله -تبارك وتعالى- يبتلي عبده المؤمن ليُمحصه، ليُنقيه، ليرفعه، ليُطهره، لا ليُهلكه. فإذا وقع بالعبد الابتلاء فينبغي ألا يجزع، وألا يسوء ظنه بربه -تبارك وتعالى- وإنما يعلم أن الله ساق له ذلك من أجل أن يرفعه وأن ينفعه {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} قال النبي: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير" خير لنا، لم يقل علينا وقد جاء ما يدل على أن الله -تبارك وتعالى- قد يجعل للعبد منزلة عنده عالية في الجنة لا يبلغها بعمله بصلاته بصيامه بصدقته ونحو ذلك، لكنه يُرفع إليها بابتلاء يسوقه الله إليه، فلو علم العبد هذا واستيقنه لاستبشر وفرح ولم يجزع ولم يتسخط
مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ	ابتلاء العباد بما ذكر الله من المصائب الخمس الخوف، والجوع، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات، وهو لمن وقع به ظاهر؛ ولغيرهم يكون الابتلاء بالاعتبار فالجازع، حصلت له المصيبتان، وجود هذه المصيبة، وفوات الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل له السخط الدال على شدة النقصان. وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب: فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب. فالمصيبة من اختيار الله -تبارك وتعالى- وهو العليم الحكيم، وأنه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، وأن الله يُمحصهم بذلك ويرفعهم إلى الدرجات العالية؛ ولهذا معاذ بن جبل لما وقع الطاعون في الشام كان يُقبل ذلك الموضع من يده لما أُصيب بالطاعون على المنبر أمام الناس

الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ	من سمة الصابرين تفويض أمرهم إلى الله بقلوبهم، وألسنتهم إذا أصابتهم المصائب ويقولون: «اللهم أْجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها» وقصة أم سلمة لما مات أبوسلمه قالت هذا الدعاء، وفي نفسها تقول من يصير خيراً من أبي سلمة!!! فأخلف الله لها خيراً من زوجها؛ وهو النبي. {قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ} أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك
	وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ: يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفورا عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر
	ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار
أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ	فبقدر ما يكون عند العبد من الصبر والاحتساب يكون له من الصلوات والرحمة والاهتداء والبشرى يُعرف عقل الإنسان، ونُضج الإنسان في هذه الأحوال التي يختل فيها توازن البعض؛ فإن الحزن الغالب، أو الفرح الغالب قد يختل معه التفكير، فيتصرف تصرفات لا تليق، تُعاب عليه، لا تصدر من العقلاء
	صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ فصلاة الله على عبده أن يذكره في الملأ الأعلى، وذكر الرب لعبده في الملأ الأعلى يُنسيه كل شيء، وإذا ذكره في الملأ الأعلى فلا تسأل عن الألطاف التي تتوجه إلى هذا العبد، وهذا أعظم تعزية للإنسان عن المصيبة.